@ 490 @ من بعده ، واشتكى أن امرأته عاقرا ، أي : ليست تلد أصلا ، وأنه قد بلغ من الكبر عتيا ، أي : عمرا يندر معه وجود الشهوة والولد . ! 2 2 ! وهذه الولاية ، ولاية الدين ، وميراث النبوة والعلم والعمل . ولهذا قال : ! 2 2 ! أي : عبدا صالحا ترضاه ، وتحببه إلى عبادك ، والحاصل أنه سأل ا ولدا ، ذكرا ، صالحا ، يبقى بعد موته ، ويكون وليا من بعده ، ويكون نبيا مرضيا عند ا وعند خلقه ، وهذا أفضل ما يكون من الأولاد ، ومن رحمة ا بعبده ، أن يرزقه ولدا صالحا ، جامعا لمكارم الأخلاق ، ومحامد الشيم . ^ (يزكريآ إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا * قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا * قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا * قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا * فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا) ^ فرحمه ربه ، واستجاب دعوته فقال : ! 2 2 ! إلى ! 2 2 ! ، أي : بشره ا تعالى على يد الملائكة ب (يحيى) وسماه ا له (يحيى) ، وكان اسما موافقا لمسماه : يحيا حياة حسية ، فتتم به المنة ، ويحيا حياة معنوية ، وهي حياة القلب والروح ، بالوحي والعلم والدين . ! 2 2 ! أي : لم يسم هذا الاسم قبله أحد ، ويحتمل أن المعنى : لم نجعل له من قبل مثيلا ومساميا ، فيكون ، بشارة بكماله ، واتصافه بالصفات الحميدة ، وأنه فاق من قبله ، ولكن على هذا الاحتمال هذا العموم ، لا بد أن يكون مخصوصا بإبراهيم ، وموسى ، ونوح عليهم الصلاة والسلام ، ونحوهم ، ممن هو أفضل من يحيى قطعا ، فحينئذ لما جاءته البشارة بهذا المولود ، الذي طلبه ، استغرب وتعجب وقال : ! 2 2 ! والحال أن المانع من وجود الولد ، موجود بي وبزوجتي ؟ وكأنه وقت دعائه ، لم يستحضر هذا المانع ، لقوة الوارد في قلبه ، وشدة الحرص العظيم على الولد . وفي هذه الحال ، حين قبلت دعوته ، تعجب من ذلك ، فأجابه ا بقوله : 2 ! 2 ! أي : الأمر مستغرب في العادة ، وفي سنة ا في الخليقة ، ولكن قدرة ا تعالى صالحة لإيجاده بدون أسبابها فذلك هين عليه ، ليس بأصعب من إيجاده قبل ، ولم يكن شيئا . 2 ! 2 ! أي : يطمئن بها قلبي ، وليس هذا شكا في خبر ا ، وإنما هو ، كما قال الخليل عليه السلام ! 2 2 ! فطلب زيادة العلم ، والوصول إلى عين اليقين بعد علم اليقين ، فأجابه ا إلى طلبته ، رحمة به . ^ (قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) ^ وفي الآية الأخرى ! 2 2 ! ، والمعنى واحد ، لأنه تارة يعبر بالليالي ، وتارة بالأيام ومؤداها واحد ، وهذا من الآيات العجيبة ، فإن منعه من الكلام مدة ثلاثة أيام ، وعجزه عنه من غير

خرس ولا آفة ، بل كان سويا ، لا نقص فيه من الأدلة على قدرة ا الخارقة للعوائد ومع هذا ، ممنوع من الكلام ، الذي يتعلق بالآدميين وخطابهم ، وأما التسبيح ، والذكر ونحوه ، فغير ممنوع منه ، ولهذا قال في الآية الأخرى : ! 2 2 ! ، فاطمأن قلبه ، واستبشر بهذه البشارة العظيمة ، وامتثل لأمر ا له ، بالشكر ، بعبادته وذكره ، فعكف في محرابه ، وخرج على قومه منه ، فأوحى إليهم ، أي : بالإشارة والرمز ! 2 2 ! لأن البشارة ب (يحيى) في حق الجميع ، مصلحة دينية . ^ (ييحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا * وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا * وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا * وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) ^ دل الكلام السابق ، على ولادة يحيى ، وشبابه ، وتربيته ، فلما وصل إلى حالة يفهم فيها الخطاب ، أمره ا أن يأخذ الكتاب بقوة ، أي : بجد واجتهاد ، وذلك بالاجتهاد في حفظ ألفاظه ، وفهم معانيه ، والعمل بأوامره ونواهيه ، هذا تمام أخذ الكتاب بقوة ، فامتثل أمر ربه ، وأقبل على الكتاب ، فحفظه وفهمه ، وجعل ا فيه من الذكاء والفطنة ، ما لا يوجد في غيره ولهذا قال : ! 2 2 ! . ^ (و) ^ آتيناه أيضا ! 2 ! 2 أي : رحمة ورأفة ، تيسرت بها أموره ، وصلحت بها أحواله ، واستقامت بها أفعاله . ! 22 ! أي : طهارة من الآفات والذنوب ، فطهر قلبه ، وتزكى عقله ، وذلك يتضمن زوال الأوصاف المذمومة ، والأخلاق الرديئة ، وزيادة الأخلاق الحسنة ، والأوصاف المحمودة ، ولهذا قال : ! 2 2 ! أي : فاعلا للمأمور ، تاركا للمحظور ، ومن كان مؤمنا تقيا ، كان وليا ، وكان من أهل الجنة ، التي أعدت للمتقين ، وحصل له من الثواب الدنيوي والأخروي ، ما رتبه ا على التقوى . ^ (و) ^ كان أيضا ! 2 2 ! أي :